إضاءة

تعاني الثقافة العربية من سوء استعمال مجمل قدراتها، من ذلك أن الكثير من طاقتها يُهدر في سبيل مقاومة التعنّت والرقابة والمنع وحماية المثقفين مما هو أخطر، مثل تهديد السمعة وقطع مورد الرزق، وأحياناً محاصرة حياتهم، ما يُلجئ هؤلاء إما للصمت أو التفكير في الهجرة

ناصر الرباط

ثقافة معاصرة تعمل بنصف طاقتها

نُخب في المتاهة

الثقافة العربية المعاصرة ثقافة تعمل بنصف طاقتها فقط. وأنا هنا لا أقصد فقط ضعف دور المرأة العربية في الإنتاج الثقافي بشكل عام، وهي مشكلة كبرى تتجاوز حدود الإبداع والاعتراف به والترويج له، لكي تشمل جميع مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والقانونية. وهذا حديث ذو شجون لوقت آخر. ولكني أقصد الإنتاج الثقافي بشكل عام، بشقيه المذكر والمؤنث، الذي أراه يعمل بنصف طاقته أو حتى أقل.

فمن جهة لدينا كل الفنانين والأدباء والشعراء والمسرحيين والسينمائيين والراقصين والموسيقيين والمعماريين والمؤرخين والمفكرين والنقاد وغيرهم، الذين يُنتجون من ضمن المحيط المعرفي المعاصر، الذي ظهر للوجود بنتيجة التلاقح الغني والخصب بين الثقافة الحداثية الأوروبية والثقافة العربية البازغة في القرنين التاسع عشر والعشرين. ومن جهة ثانية لدينا حركة نبذ الثقافة الحداثية التي صارت تؤطّر مجموعات كبيرة من المفكرين العرب والمسلمين، الذين لا يتعاطون في الأنواع الثقافية المُنتجة ويرفضونها على أنها دخيلة ومتسلّطة وتهدف إلى الهناء الأمة عن دينها وأخلاقها بالأساس، ويتخيلون بدلاً منها ثقافة مبتسرة وملتزمة تحرّم أنواعاً كثيرة من الفن والأدب والموسيقى وما إليها من منتجات ثقافية منحطة وشاذة بعرفهم. وهم إلى ذلك لا ينتجون ثقافة بديلة بالمعنى الكامل للكلمة، ما عدا الكثير من الكتابات الدينية وبعض الأناشيد والحرف التقليدية ما زالوا يقبلون بها على أنها أصيلة. ولكننا لا نرى من طرفهم أية رواية أو مسرحية أو مؤلف موسيقي أو كتابة نقدية، وطبعاً لا نرى فناً تشكيلياً بالمعنى المعاصر للكلمة. وهذا طبعاً حقهم في اختيار ما يرتاؤنه مناسباً لعقيدتهم ولرؤيتهم للحياة ومعناها ومعبّراً عن طموحاتهم وآمالهم.

ولكن المشكلة تكمن في كمية الطاقة والموهبة الضائعة في ما يحرمه هؤلاء على منتسبيهم وتابعيهم من جهة، وطاقة المحاجبة التي يبذلونها لمنع الآخرين الذين لا يدينون بدينهم من متابعة مشاريعهم الثقافية والفنية بحجة مروقها وتهتكها ومخالفتها لتعاليم الدين.

المشكلة أيضاً هي أن الثقافة لا تعمل فقط بنصف طاقتها الإنتاجية، إذا صح إسقاط هذا التعبير الاقتصادي ذي الجذور الماركسية عليها، وإنما هي أيضاً تهدر الكثير من طاقتها في سبيل مقاومة التعنّت والرقابة والمنع ضدها وفي سبيل حماية منتجيها من آثار هذا التعنت التي تمتد إلى ما هو أبعد من الرقابة والمنع للوصول إلى حد تهديد سمعة ومورد رزق وأحياناً حياة الأشخاص الذين ينتجون الثقافة المارقة أنفسهم.

وطبعاً هناك أيضاً الأثر العميق الآخر لهذا الصراع، والمتمثل في هجرة بعض الثقافة العربية خارج محيطها المعرفي واللغوي والتاريخي والانتمائي، في محاولة للبحث عن حياة أفضل والتخلّص من طغيان قاس، وتوطنها في أوروبا وأميركا. ولكن هذه الثقافة المهاجرة غالباً ما تجد نفسها مضطرة، بسبب الضغوط المادية والمعيشية، للتخلّي عن بعض هويتها، والتعبير بأسلوب يتماشى ومحيطها الجديد. ولذا فهي تتخلّى أحياناً عن لغتها العربية للتعبير بلغة أخرى تسمح لها بالمنافسة في سوق الأفكار والإبداع في موطنها الجديد ولمحاولة جذب جمهور غير جمهورها المفترض، بل هو جمهور لديه انطباعات مسبقة عن الثقافة العربية تجد نفسها أحياناً مضطرة لمسايرته والالتزام برؤاه. وهي أيضاً تجد نفسها مدفوعة للتطرّق إلى مواضيع ومناخ لم تكن في صلب اهتماماتها عندما كانت في وطنها الأول، مسايرةً أيضاً للاتجاهات السائدة في موطنها الجديد. وهي على المدى الطويل تتطور باتجاه مغاير لمنحى تطوّرها الذي جاءت به أساساً في اتجاه هو بين الثقافة الأم التي نبعت من أرضها والثقافة المضيفة التي تحتاج إلى قبولها بها.

من هنا نشأ لدينا على الأقل فرعان في الثقافة العربية المعاصرة: ثقافة مقيمة وثقافة مهاجرة. وهما فرعان متباعدان، بل إنهما لا يتحاوران في غالب الأحيان، كل بنحو باتجاه يستجيب حكماً لسوقه وجمهوره. وأنا هنا أيضاً لا أود التركيز على المغايرة بين الثقافة دينية المنبع والهدف التي طغت على الكثير من مناحي الحياة في العالم العربي والبقية الباقية من الثقافة المدنية، المجايلة للثقافة العالمية، التي لم تزل فاعلة في نفس العالم العربي. ولكني أود الإشارة إلى المغايرة وأحياناً التناقض بين هذه الثقافة المدنية المقيمة والثقافة العربية المهاجرة اللتين تتشاركان في الجذور والتاريخ القريب والرؤى والهموم ولكنهما تختلفان في المنحى واللغة والجمهور والأساليب والأدوات التعبيرية وفي الاشتباك مع الثقافات الأخرى أخذاً وعطاءً. وكلتاهما لهذا السبب أقفر وأضعف وأقل تأثيراً في محيطهما المباشر وفي الجو الثقافي العالمي السائد. بل هما أيضاً وبسبب من تباعدهما الجغرافي والمعرفي لا يتعارفان بما فيه الكفاية ولا يتلاقحان في ما هو المجال الطبيعي لكليتهما بالنمو والتفرّع. وفي هذا إفقار إضافي لكلتيهما وللثقافة العالمية نفسها.

هل لديّ من حل أو على الأقل اقتراح للتقارب والتكامل والانسجام ما بين فرعي الثقافة الواحدة هذين اللذين يتباعدان بتباعد العالم العربي عن أوضاع العالم وانشغاله بمصائبه الوجودية التي تزداد يوماً عن يوم؟ الحقيقة أني لا أرى حلاً مباشراً، خاصة في ظل ازدياد التنابذ الأيديولوجي بين حاضنتيهما: العالم العربي الذي يزداد تعصباً دينياً بصعود قوى السلفية الاجتماعية باستمرار - على الرغم من تراجع السلفية السياسية - وبازدياد الضغوط الخارجية عليه، والعالم الغربي الذي يزداد تعنتاً بانخفاض درجة سيطرته على مقدرات العالم من دون تراجع هيمنته الثقافية.

ربما لهذا السبب سيتعيّن علينا البدء بمعاملتهما على أنهما ثقافتان متوازيتان، رديفتان ربما، ولكن بالنتيجة كل منهما تتبع مسارها الذي تفرضه عليها ظروفها المعيشية وسياقها اللغوي والتعبيري ودرجة الانفتاح أو الانغلاق التي تعمل ضمنها.

(مؤرّخ معماري مقيم في الولايات المتحدة)

تجهيز فنّي لـ ستار نعمة، غرض ضمن معرض بغداد للكتاب 2019 (Getty)

> الكثير من الطاقة يذهب في محاججة المختلفين في الرأي
>
> ثمة ثقافة عربية مقيمة وأخرى مهاجرة وقلّما يتحاوران

مبحث بات نادراً

خلال القرن الماضي، كان اتخاذ الثقافة العربية في مجملها كموضوع دراسة وتأمّل أمراً دارجاً، قبل أن يصبح ذلك أقلّ حضوراً، حيث هيمنت النزعات المحلية وفتّتت التخصّصية المواضيع الكبرى، ومنها مسألة الثقافة العربية في وحدتها. اعتقد البعض أن هذا المبحث شأن حقل معرفي بعينه هو علم الاجتماع الثقافي لكن الأخير تأسّس ضمن أفق غربي، ولا يبدو أنه قادر على الامساك بنموذج في عراقة واتساع الثقافة العربية.

استعادة

أمين شنّار الكابوس الذي تحوّل إلى عزلة

في منعطف هزيمة حزيران

اختار الكاتب الأردني الفلسطيني (1934 - 2005) أسلوباً رمزياً في التعبير عن مجتمع تعرّض إلى عدوان خارجي سهّلت مهمّته أزمات داخلية

محمود منير

بهدوء استدعى ذاكرةَ عمرها نحو أربعين عاماً، مرّ رحيل الكاتب الأردني الفلسطيني أمين شنّار عام 2005؛ فلم يعد الأمر أكثر من بضعة أخبار نشرتها الصحافة المحلية، كلّها أشارت إلى كتاباته الشعرية والروائية في مرحلة ماضية وإلى دور تأسيسي في الحياة الثقافية الأردنية انتهى إلى عزلة مديدة.

صاحبُ ديوان «المشعل الخالد» (1957) المولود عام 1934، يرتبط اسمه بالشاعر الأردني تيسير سبول (1939 - 1973) لتقاسمهما جائزة «جريدة النهار» عام 1968، حيث نالها عن روايته «الكابوس»، بينما نالها الأخير عن روايته «أنت منذ اليوم».

لم تكن هذه المناصفة محض صدفة لعملين مثّلا ردّ فعل على هزيمة حزيران 1967، والتي اختار شنّار أن يعبّر عنها برمزية بدت مستغربة في لحظة الانكسار وسياق التجريب الذي ميّز السرد العربي آنذاك، خلافاً لسبول الذي لجأ إلى المكاشفة والفضح وتعرية موروث عربي ممتدّ من الاستبداد والتسلّط الذين حجبا الواقع تحت ذرائع وصائية أبوية.

يُعد رمزي فرضته عوامل عدّة في مقدّمتها خلفية الكاتب وثقافته الصوفية الدينية وانشغاله الدؤوب بالتوفيق بين الحداثة والإسلام تدلّ عليه خياراته في النشر كمحرّر للصحف التي عمل فيها، والمواءمة بين العلم والدين، كما أوضحه في برنامجه التلفزيوني «سبحان الله»، إلى جانب انتمائه في فترة مبكرة إلى «حزب التحرير الإسلامي»، وهي مؤثرات قادته غالباً إلى تبنّي كتابة تتسق مع مرجعياته الفكرية والأدبية.

ويمكن القول أيضاً إن هذه الاعتبارات جميعها دفعت شنّار إلى الحديث عن فلسطين بوصف يبتعد عن مفهومها كوطن لدى النخب القومية أو اليسارية وما ينتجه من خطاب وأدوات، فهو ينظر إليها في إطار فهمه للمجتمع ودور الفكر في نهوضه، ووفق هذه النظرة فإن الوطن يصبح مفهوماً أشمل يتطلّب سرداً ينزع نحو التجريد، والفنتازيا إلى حد ما، وينطبق على جميع أوطان المسلمين. في فهمه لطبيعة ما حدث وقاد إلى الهزيمة، يشير الكاتب الأردني إلى أن الخلاص من تخلّف المجتمع وجهله لا يكون إلا بالعلم، حيث تبدأ الرواية عندما يتسلّم الشاب المتعلّم فرحات من والدته أمانة تركها له جدّه، تتضمّن أوراقاً محفوظة في صندوق حديدي يكسوه الصدأ، كتبها الجد الذي كان أول شخص يقرأ ويكتب في القرية.

يشكّل مضمون الأوراق أهمية مماثلة، فهي تلخّص بشكل دقيق وبلغة بليغة الفوارق الطبقية ومقدار الظلم الذي يتعرّض إليه أهل القرية الذين يعملون لقاءَ قوت يومهم، بينما يهيمن الشيخ الكبير الذي يقطن الجبل (جبل البخور) على ملكية جميع الأراضي وبرغم الجميع على العمل لديه.

يُفرد شنّار جزءاً كبيراً من روايته لنقد حالة الطاعة العمياء المطلقة للشيخ والتي تعيق نهوض المجتمع وتقدّمه، وهنا تتأكد رؤيته لفلسطين كامتداد لمجتمع عربي وإسلامي يعيش الأزمة ذاتها ممثلة بعبادة الفرد كسبب رئيس يؤدي إلى أزمات أكبر، إلا أن قيوداً تحدّ مقولته عبر الإشارة إلى أن الشيخ الجديد مجهول النسب والهوية ولا يُعرف كيف وصل إلى السلطة، لذلك يحنّ الناس إلى الشيخ نجم الذي كان مثال الاستقامة والعدل قبل أن يصاب بالخرف.

في استكمال بنائه الرمزي، ينوّه الكاتب بغزو الخواجات للقرية وإزاحة الشيخ الكبير عن الحكم بشكل فعلي، في إحالة إلى الهجرات اليهودية إلى فلسطين، حيث يسعى الشاب المتعلم فرحات إلى تخليص أهل قريته منهم، بالاعتماد على أوراق جده التي كتبها بعد أن اتّهم بالجنون الذي يبدو علامة للاختلاف والمغايرة عن المجتمع من خلال العلم، ومعرفة ما يتهدّده من أخطار.

لم يفوّت شنّار في تعظيمه لخطر العدو الخارجي وسلبه للأرض والسيادة، التنبيه إلى المشاكل الداخلية التي لعبت دوراً في تسهيل مهمّة العدو، ومنها الخلاف بين شيخ الجامع الذي لا يرى في الانفتاح على العالم سوى مؤامرة تحاك ضدّ القرية، وبين فقيه المدرسة الذي يحلم أن يلتحق أهل قريته بركب التحضر، أو في استغلال التاجر وتوجيهه للناس وفق مصلحته الشخصية.

هل كانت الرواية ردّاً على هزيمة حزيران/ يونيو؟ ربما. لكنها كانت بالطبع تعبيراً عن فهم سياسي لم يكن ممثلاً في الواقع، ولذلك اختار صاحبه العزلة حتى رحيله، بينما اختار تيسير السبول، الذي كان منتمياً للواقع ورافضاً لاشتراطاته، الانتحار. خياران متضادان في العيش وفي التخييل لكنهما يعبّران عن الهزيمة نفسها.

> رات الرواية في العلم مفتاحاً للتخلّص من الاستبداد

أمين شنّار

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

معرض

سوسن العويتي رحلة داخلية مفردا تها القبول والامتنان والحب والشكوك

العلاقة بالعالم من خلال الورق

في معرضها الذي يتواصل حتى 25 من الشهر الجاري، تعتمد التشكيلية التونسية على الورق لتروي الرحلة الداخلية التي يعيشها الفرد مع الأشياء حوله

تونس ـ **العربي الجديد**

في ما عدا استعمالاته ضمن الكتابة الحرفية أو كمادة في فن الكولاج، وبدرجة أقل كمحمل للوحات الألوان المائية والزيتية، قلما يحضر الورق في مشهد الفنون التشكيلية العربية، لذا فإن وجود معارض تعتمد بشكل كلّي على هذه المادة يمثّل نوعاً من الاستثناء، وهو ما نجده في معرض الفنانة التشكيلية التونسية سوسن العويتي، «الوعي التّام»، الذي يُقام هذه الأيام في «غاليري صلاح الدين» بضاحية سيدي بوسعيد بالقرب من تونس العاصمة، ويتواصل حتى 25 تشرين الثاني/ نوفمبر الجاري.

بشكل عام، تبدو العويتي وكأنها جعلت من الورق خياراً أساسياً في مشوارها الإبداعي. تقول في حديث إلى «العربي الجديد»: «يمثّل الفن الورقي في نظري طريقة مرنة للتعبير، وهو لا يقلّ في ذلك عن باقي الفنون البصرية، فهو مادّة فريدة من نوعها في تركيبتها وفي إمكانياتها اللا متناهية، بالإضافة إلى جمالية الصوت الذي يأتي منه مع كلّ طيّة، وإلى الألوان والأشكال التي يمكن استخراجها منه. كل ذلك يجعل منه مادّتي المفضّلة».

تضيف: «أعتقد أنّ للفنون الورقية الكثير من الإمكانيات، ويمكنها أن تثير اهتمام المشهد الثقافي العربي، وهو ما لامسته لدى زوّار الأيام الأولى من المعرض. لقد لمست مزيجاً من الدهشة والإعجاب أمام هذا النمط من التعبير».

وحول المعرض وفكرته، تقول العويتي: «يروي هذا المعرض رحلة داخلية مفرداتها القبول والامتنان والحب والعاطفة، وكذلك الشكوك والمخاوف. هو محاولة للتعبير عن تقاطعات مشاعر للفرد باللحظة الراهنة التي يعيشها، ومحاولته التناسق مع ما هو موجود».

تضيف: «في هذا المعرض يتمّ التّعامل مع العمل الفنّي باعتباره تجربة حسّية وعودة إلى الذات لاكتشافها، ومن ثمّ يكون ذلك منطلق حكاية يمكن تقاسمها. «الوعي التام» هي العبارة التي تلخّص كل هذه المعاني».

توضّح التشكيلية التونسية فكرة العنوان أكثر، قائلة: «الاختيار هذا العنوان اعتمدت على تجربتي الحياتية حيث أحبّ عالم تطوير الذات، ولديّ تجارب تدريب ضمنه، وكان سبباً في تغيير تصوّراتي عن الحياة، ووجدتُ أنه من المناسب أن أدخل بعض مفرداته إلى أعمالي الفنية».

اعتمدت العويتي في هذا المعرض على فن الأوريغامي (فنّ طيّ الورق)، في استعارة تقنية من الثقافة اليابانية. عن هذا الخيار، تقول: «بدأت في طي الورق بمنهجيات فن الأوريغامي في سن مبكرة مع أصدقائي في المدرسة، وقد كانت نقطة انطلاقي في هذا الفن هدية تلقّيتها، هو كتاب تضمّن رسوماً تخطيطية يمكن أن ننشئ منها الكثير من الأشكال؛ قوارب، طيور وغيرها، وكان هذا محفّزاً لاكتشاف أشكال جديدة. ثمّ تحوّل ما كان في البداية لعبة بسيطة إلى مركز اهتمام حقيقي يستحوذ على توجّهاتي الفنية، وقد أتاحت الإنترنت تعميم هذا الفن والوصول بيسر إلى الآف الرسوم البيانية والبرامج التدريبية».

> اعتمدت على تقنيات فن الأوريغامي الذي تعرّفت عليه في طفولتها

سوسن العويتي في معرضها

فعاليات

تنظّم «ساقية الصاوي» في القاهرة، يوم غد الجمعة، امسية لإعلان إطلاق مشروع **رسم مصر** الذي يقدّمه كل من: **محمد حمدي**؛ استاذ الرسم والتصوير بكلية التربية الفنية/ جامعة حلوان، و**نادر الشيخ**؛ المدير الفني لشركة «افلام رسم مصر». يدير الحوار رسام الكاريكاتير **سمير عبد الغني**.

تُقام، الاحد، محاضرة افتراضية بعنوان **الحياة اليومية للفلاح المصري على ضفاف النيل**، تُلقيها الباحثة الفرنسية في علم المصريات **مارلين سيلييه**، مديرة البرامج في الجناح المصري بـ «متحف اللوفر» في باريس. تقدّم سيلييه قراءة في مجموعة من البرديات والرسومات الحائطية صوّرت مشاهد من الحياة اليومية للمصريّين وعلاقتهم بالطبيعة وكيفية تنظيم مجتمعاتهم.

ينظّم «بيت الرواية» في تونس العاصمة، يوم غد الجمعة، 20 تشرين الثاني/ نوفمبر الجاري امسية ادبية تتضمّن توقيع ونقاش المجموعة القصصية **خيال الموج** (أيلول/سبتمبر 2020، منشورات دار الثقافة) للكاتبة التونسية **هيام الفرشيشي** (الصورة). من اعمال المؤلّفة الأخرى: «المشهد والظل»، و«أوشام سرية».

بداية من السابعة من مساء يوم غد، تتحدّث الكاتبة المغربية **لبنى سرّاج** حول روايتها **على ان يكون مرحا** (منشورات ملتقى الطرق) ضمن امسية يبثّها «المعهد الثقافي الفرنسي» في الدار البيضاء. بحسب تقديم الامسية، تنطلق كلمة سرّاج من الاسئلة التالية: كيف يمكن ان نكون احرارا؟ وكيف نحمي حميميتنا؟